



تفسير القرآن الكريم
سوريا - دمشق - مسجد عبد الغني النابلسي



تفسير سورة البقرة شرح الآيات 67-74

nooraldeen.com

19/06/2026

سورة البقرة - 13: شرح الآيات 67-74

(002) سورة البقرة

2026-06-19

سورية - دمشق

مسجد عبد الغني النابلسي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين.
اللهم علّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علّمتنا وزدنا علماً.
اللهم أخرجنا من وحول الشهوات إلى جنّات القربات، وأخرجنا من ذلّ الشرك إلى عزّ التوحيد والعبودية.
أيّها الإخوة الأحباب: هذا لقاءنا الثاني عشر من لقاءات تدبّر سورة البقرة، ونحن مع الآية السابعة والستين من السورة وهي قوله تعالى:

يَسْمِ اللَّهَ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ
وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ۖ قَالُوا أَنْتَجِدُهَا هُزُولًا ۖ قَالِ أَغُودُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (67)

(سورة البقرة)

سُمِّيَتْ سورة البقرة لورود قصة البقرة فيها:

سُمِّيَتْ سورة البقرة لورود هذه القصة فيها، قصة البقرة، والحقيقة أنّ أصل القصة كما وردت في الكتب، ونحن عندما نتحدّث عن شيء في التفسير لم يرد تفصيله في كتاب الله تعالى أو في سنّة رسوله صلى الله عليه وسلم، فنأخذ ذلك استئناساً مادام لا يخالف شيئاً من ديننا، لنفهم من خلاله النص، أو لنبشّرك معنا في فهم النص.
فالرواية تقول أنّ رجلاً قتل عمّه، هو ابن أخيه وهو الوارث الوحيد له، فأراد أن يستعجل الميراث، فقتله ثم أخذه ورمى به في قرية مجاورة، ليثبّم به القرية الأخرى، فلم يُعرف القاتل، وأصبحت كل قرية تدرأ التهمة عن نفسها وبنّهم القرية الأخرى به، فجاء قوم موسى إليه وقالوا له: يا موسى من قاتل هذا الرجل؟ أنت كليم الله فسّله فليُكلّمنا عن القاتل، من القاتل؟ فقال لهم موسى عليه السلام: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً) ما علاقة البقرة بالقاتل؟ نسألك من القاتل؟ تقول: اذبحوا بقرة؟!!

قصة البقرة هي امتحان لبني إسرائيل في شيئين:

هذه القصة هي امتحانٌ لبني إسرائيل في شيئين اثنين:

الشيء الأول: هو الإيمان بالغيب، لأنَّ الآن القضية غيبية، وحيٌّ من الله تعالى.

والقضية الثانية: هي الاستجابة لأمر الله عزَّ وجل دون تَلَكُّؤٍ، ولو لم تفهم الحكمة منه، اذبحوا بقرةً غير مفهومة، نسألك عن القاتل فالمفروض أن تُجيبنا أنَّ القاتل فلان، أو تقول لنا: انتظروا، أو تقول لنا: الله لا يريد أن يُعلمكم بالقاتل، أمَّا اذبحوا بقرةً، ما العلاقة بينهما؟!

أحياناً تأتلك أوامرُ من الله تعالى قد لا تفهم حكمته، سواءً أوامر في حياتك الخاصة أو أوامر شرعية، معظم أوامر الدين واضحة أنها لمصلحتنا، كل ما أمَرَ الله به هو لمصلحتنا، وكل ما نهى عنه لمصلحتنا، فأوامر الدين ضمانٌ لسلامتنا وليست حدًّا لحريتنا، فعندما حرَّم الله الخمرَ حرَّمها من أجلنا، وعندما أمر بالمعروف أمر به من أجلنا، لكن أحياناً قد تغيب عنك حكمة أمر من الأوامر، فإذا كنت تعبد الله فإنك تُنفذ الأمر، أمَّا إذا كان غيرك يعبد ذاته، فإنه لا يُنفذ الأمر لأنه يُنفذ ما يحلو له وما يجد فيه مصلحته، ويتزك ما لا يروق له، فأحياناً قد يأتي من الله أشياء قد لا تفهم حكمته، فيجب عليك أن تمثل للأمر، هذا امتحان بني إسرائيل في موضوع البقرة: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً).

الإسلام يجمعنا على عقيدة واحدة وكل من كان على عقيدتنا هو من قومنا:

ثم انظروا إلى الصيغة: (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ) أولاً القوم وردت في القرآن في متبين وسبب آياتٍ "يا قومي"، القوم جمع لا مفرد له، هناك جموع لها مفرد، تقول كُتِبَ مفردة كتاب، أمَّا نسوة ما مفردها؟ امرأة، ليس لها مفرد من لفظها، قوم ما مفردها؟ امرؤ أو رجل، الجمع قوم، فالقوم ليس له مفرد من لفظه، فنُسَمِّيهِ في اللغة اسم جمع لأنه ليس له مفرد من لفظه.

فالقوم تقوم بهم عظام الأمور، فسموا قوماً لأنهم يقومون بعظام الأمور، في القرآن الكريم عندنا قوم موسى، وقوم عيسى، وقوم شعيب:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْتٍ مِّن رَّبِّي وَأَتَانِي رَحْمَةٌ مِّنْ عِنْدِي فَعَمَّيْتُ عَلَيْكُمُ النُّزُلَ مَكْمُوهًا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ (28)

(سورة هود)

وعندنا قوم نبينا محمدٍ صلى الله عليه وسلم، والأنبياء لا يتخلَّون عن أقوامهم مهما فعلوا، لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن أودى في الطائف قال:

{ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا كُسِرَتْ رَبَاعِيَّتُهُ، وَشَجَّ وَجْهَهُ يَوْمَ أُحُدٍ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِهِ، وَقَالُوا: لَوْ دَعَوْتَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي لَمْ أَبْعَثْ لَعْنًا، وَلَكِنْ بُعِثْتُ دَاعِيًا وَرَحْمَةً، اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي، فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ }

(أخرجه البيهقي)

بقِي ينسبهم إلى نفسه رغم ما فعلوه، قومي، ومنه أُجِدَّت القومية التي لا تُثْبِتُ للدين بصله، لأنه نحن ما عندنا قومية عندنا إسلامية، فالقوم قومنا ما داموا مُسلمين، وإن كانوا من عُرب أو من عجم، ففكرة القومية هي من القوم، أي نحن نقوم مع بعضنا، نتأزر فيما بيننا، القومية العربية، القومية الكردية، نحن ليس عندنا قوميات، نحن عندنا إسلام، ضمَّنَّا الإسلام إخواناً جميعاً.

فالإسلام يجمعنا، نحن قومٌ نجتمع على العقيدة، فكل من كان على عقيدتنا وديننا فهو من قومنا.

(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ) انظروا إلى الصيغة: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ) هذه الصيغة تكررت في كتاب الله في عدة مواضع:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (90)

(سورة النحل)

أمة الإسلام هي الأمة التي تنتسب إلى عالم الغيب:

هنا (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ) أي الأمر قبل الأمر، فمن يعرف الله يُنفذ أمره، أنا إذا قلت لأحدكم: إِنَّ أَبَاكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تذهب وتُحضر له الشيء فلاني، يقوم من مجلسه فوراً، أبي يريد ذلك، لأنه عَظَّمَ عنده الأمر فبادر إلى تنفيذ الأمر، فكيف إذا قلت لك: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ؟ فيجب أن تُبادر فوراً (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ) هنا ما الأمر؟ (أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً) انظر إلى الله تعالى عندما أمر إبراهيم عليه السلام أن يذبح ابنه وليس بقرة، قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمُرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (102)

(سورة الصافات)

وتلطف معه، ما قال: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُنِي، وهو أمر من الله لأنَّ رؤيا الأنبياء حق، لكن قال: (إِنِّي أَرَى) وأرى فعل مضارع، أي تكررت الرؤيا كل يوم إتمام واستيقظ (إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ) ففهم الرسالة فوراً (قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمُرُ) أمرٌ بذبح ولياً! (افْعَلْ مَا تُؤْمُرُ)، أمرٌ بذبح بقره: (اتَّبَعْتَنَا هُرُوقًا)، أمة الإسلام هي الأمة التي تنتسب إلى عالم الغيب، التي تلتزم بالأمر ولو لم تفهم حكمته، أذبحوا نذيج انتهى الأمر، ما دام الأمر من الله فيجب أن نلتزم به.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ (278)

(سورة البقرة)

تَذَرُ الرِّبَا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (30)

(سورة النور)

نغضُّ من أبصارنا، إلى آخره...

(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبُحُوا بَقَرَةً) بقرة تكبرة، أي لو ذبحوا أي بقرة لأجزأتهم، كبيرة، صغيرة، ذلول، غير ذلول، أي بقرة، صفراء، حمراء، بيضاء، سوداء، كل البقر مجزئ (أَنْ تَذْبُحُوا بَقَرَةً) وأوامر الله دائماً فيها سعة، دائرة المباح واسعة، عندما يأمرك الله تعالى لا يضيق عليك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ ۖ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ (78)

(سورة الحج)

لماذا ربُّنا عَزَّ وَجَلَّ اختار البقرة؟

الأمر واسع (أَنْ تَذْبُحُوا بَقَرَةً) فقط، تكبرة، ولماذا ربُّنا عَزَّ وَجَلَّ اختار البقرة؟ لأنهم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا ۖ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبْنَا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ

لأنهم عبدوا العجل، والعجل ابن البقرة، فأراد الله أن يخرج من قلوبهم حُبَّ العجل، لأنهم يعظمون البقرة.

اليهود حتى اليوم يزعمون أنهم ذبحوا تسع بقراتٍ وتطهروا برماذها، وهم ينتظرون البقرة الحمراء العاشرة، حتى إذا ذبحوها دخلوا إلى المسجد الأقصى وهدموه وبنوا هيكلهم المزعوم واستعادوا مجدهم، هذه دعواهم في كتبهم البقرة الحمراء، فهم قومٌ عبدوا العجل، فأراد الله أن يخرج خُبَّها من قلوبهم، اذبحوها، الذبح حقيقي وكناية عن إخراجها من قلوبهم، فدائماً عندما يُسيطر شيءٌ على قلبك اذبحه، لا تجعل شيئاً يُسيطر عليك، اذبحه، اذبح الشهوة التي تحول بينك وبين الله.

(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً) أي بقرةٍ مُجرئة، **(قَالُوا أَتَجِدْنَا هُرُوءًا)** أنجعلنا مادةً لسُخريتك، نقول لك: من القاتل، تقول لنا: اذبحوا بقرة؟! **(قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ).**

ما هذا العناد؟! نبي من أنبياء الله، كلم الله، وراوا آياتٍ عظيمةٍ منه، ثم يقول لهم: **(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً)** فيكون جوابهم: **(أَتَجِدْنَا هُرُوءًا؟)**

اليوم أحياناً تقول لبعض المسلمين: هذا أمرٌ الله، هكذا أمرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، هكذا يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا يقول لك: ألتخذني هُرُوءاً؟ لكن يقول لك: هل هذا معقول، لا أجدها صحيحةً، كيف غير صحيحة؟ هذا أمرٌ من الله ورسوله، أو يقول لك: كأنها لغير هذا الزمن فقد تغيّر الزمن، كيف تغيّر الزمن؟!

(قَالُوا أَتَجِدْنَا هُرُوءًا) أي سُخريّة، **(قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ)** أي ألتجئ إلى الله، أحمتي به **(قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ)** فمن يتخذ الآخرين هُرُوءاً فهو جاهلٌ، من يهزأ بالناس جاهلٌ، ومن ينقل عن الله شيئاً لم يقله الله فهو أجهل من الجاهل الأول، يعني هنا الجهل مُركّب، معاذ الله أن أكون جاهلاً فأقول لكم: إنَّ الله يأمركم وهو لم يأمر، ومعاذ الله أن أكون جاهلاً فأتخذكم هُرُوءاً، فمن يهزأ بالآخرين هذا جهلٌ منه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالُوا اذْغُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنَ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا قَارِضَ وَلَا يَكْرُ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ ۖ قَافِعُوهَا مَا تُؤْمَرُونَ (68)

(سورة البقرة)

السُّخْرية والاستهزاء والاستعلاء ظاهرة عند بنو إسرائيل:
(رَبِّكَ) وليس ربّاً! (اذْغُ لَنَا رَبِّكَ).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَ نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا ۖ قَادْهُبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَابِلًا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (24)

(سورة المائدة)

هذه الطريقة في السُّخْرية والاستهزاء والاستعلاء ظاهرة عندهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذْ قَالَ الْخَوَارِثُونَ يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ۖ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ (112)

(سورة المائدة)

فتكرر قولهم: **(رَبِّكَ)**، **(قَالُوا اذْغُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنَ لَنَا مَا هِيَ)**، **(مَا هِيَ؟)** هذا سؤالٌ عن الذات، الجواب بقرة، لو قال إنسانٌ ما هي؟ تقول له: بقرة، ما قالوا: ما صفتها؟ إمعاناً في الاستهزاء والاستعلاء، أي كأننا لم نسمع **(مَا هِيَ؟)** المقصود ما صفتها، لأنَّ ما هي؟ الجواب معروف هي بقرة، وقال لكم بقرة، **(اذْغُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنَ لَنَا مَا هِيَ).**

(قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ) ينقل عن الله تعالى: **(إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا قَارِضَ وَلَا يَكْرُ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ)** الفارض أي الواسع، والبقرة الفارض أي من كثرة الحمل والولادة أصبحت واسعةً، امتلأت وأصبح الجلد مترهلاً فُتْسِمَى فارض، كناية عن سعة جسمها، بسبب كثرة حملها وولادتها، فهي ليست كبيرةً في العُمُر **(وَلَا يَكْرُ)** أي لم يطأها فجل، اليكر أي لم تتزوج **(وَلَا يَكْرُ)**، **(عَوَانٌ)** أي وسط بين ذلك، أي أنَّ العُمُر وسط بين الكبيرة المُتَقَدِّمة في العُمُر التي حملت وولدت وحملت وولدت، واليكر التي لم تتزوج أصلاً **(عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ)** وسط بين ذلك **(قَافِعُوهَا مَا تُؤْمَرُونَ)** وحُثِّمُوا الآن لا تُكثِّروا من المسائل، يقول صلى الله عليه وسلم:

{ ذُرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ فَمَا أَمَرْتُمْ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَمَا نَهَيْتُمْ عَنْ فَعَلِهِمْ، وَفِي رَوَايَةٍ زَادَ فِيهِ: وَمَا اخْتَرْتُمْكُمْ اللَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَهُوَ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ }
(أخرجه البخاري ومسلم)

لَا بُدَّ أَنْ تَسْتَنْفِذَ جُهِدَكَ فِي أَنْ تَأْتِيَ مَا أَمَرَكَ اللَّهُ بِهِ:

استنفذ جُهِدَكَ في أَنْ تَأْتِيَ مَا أَمَرَكَ اللَّهُ بِهِ، قال: (وما نهيتُ عن فاعلهَا) الانتهاء حَذْيُ أي لا يوجد نصف انتهاء، بمعنى أنا انتهيت قليلاً والعباد بالله عن الزنا، أو عن الخمر، لا، انتهيت فإذا يعني انتهيت، انتهينا، لَمَّا أنزل الله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (90) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ مُنْتَهُونَ (91)

(سورة المائدة)

قال: (فَهَلْ أَنتُمْ مُنْتَهُونَ)؟ قالوا:

{ عن عمر بن الخطاب قال: لَمَّا نَزَلَ تَحْرِيمُ الْخَمْرِ لِلَّهِمَّ بَيْنَ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيِّنًا شَفَاءً، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ الَّتِي فِي الْبَقَرَةِ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ الْآيَةُ، قَالَ: فَدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ بَيْنَ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيِّنًا شَفَاءً، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ الَّتِي فِي النَّسَاءِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ فكَانَ مَنَادِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ يُنَادِي: أَلَا لَا يَقْرَبَنَّ الصَّلَاةَ سُكَارَىٰ، فَدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ بَيْنَ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيِّنًا شَفَاءً، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فَهَلْ أَنتُمْ مُنْتَهُونَ قَالَ عُمَرُ: **انتهينا** }
(أخرجه النسائي وأبو داود)

فأفرغوا ما في آبتهم من خمرٍ، فسالت الخمر في أَرْقَةِ المدينة، انتهى.
(فَمَا أَمَرْتُمْ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَمَا نَهَيْتُمْ عَنْ فَعَلِهِمَا) ثم قال: (فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ) ما دام شيء لم يُحَرِّمْ، فأنت لا تُضَيِّقُ عَلَى نَفْسِكَ فَيُضَيِّقُ اللَّهُ عَلَيْكَ.
فقال: (إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا قَارِصٌ وَلَا يَكْزُ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ ۖ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَن أَسْيَاءٍ إِن تَبَدَّلَ لَكُمْ تَشَوْكُمْ ۖ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدِّلْ لَكُمْ عَمَّا اللَّهُ عَنْهَا ۖ وَاللَّهُ عَفُورٌ ۖ خَلِيمٌ (101)

(سورة المائدة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاطِرِينَ (69)

(سورة البقرة)

اللون لم يظهر بعد، (مَا لَوْنُهَا) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ صارت المسألة أصعب (فَاقِعٌ لَوْنُهَا) صفارها شديد لامع (تَسُرُّ النَّاطِرِينَ) أي تُدْجِلُ السرور إلى قلب من ينظر إليها، الإنسان إذا رأى شيئاً لونه فاقع، يستغربه ويُسُرُّ برؤيته (تَسُرُّ النَّاطِرِينَ) أي تسُرُّ من ينظر إليها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (70)

(سورة البقرة)

حتى الآن لم نفهم ما المطلوب؟ قالوا: (إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا) أي يُشبهه بعضه بعضاً، لم نُعد نعرف، نحن نبحث لكن لا نجد، (وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ) لعلنا نهتدي إلى البقرة المُناسبة التي نريدها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (71)

(سورة البقرة)

من يَعمُ الله تعالى أنه ذَلَّلَ المخلوقات لنا:
من يَعمُ الله تعالى أنه ذَلَّلَ المخلوقات لنا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (72)

(سورة يس)

الْجَمَلُ مُذَلَّلٌ، يَأْتِي طِفْلٌ صَغِيرٌ يُمَسِّكُهُ مِنَ الْحَبْلِ وَيُنْبِخُهُ فَيَجْلِسُ مَعَهُ، وَالْجَمَلُ لَوْ لَمْ يَكُنْ مُذَلَّلًا لَفَكَّرَ فِي الْأَمْرِ، يَا هَذَا الطِّفْلُ الْإِذِي أَجْلَسَ مِنْ أَجْلِهِ؟ فِرْكَلَهُ بِقَدَمِهِ، لَكِنْ اللَّهُ ذَلَّلَهُ، الْعَقْرَبُ غَيْرُ مُذَلَّلٍ يَهْزُبُ مِنْهُ الْإِنْسَانُ، الْجَمَلُ مُذَلَّلٌ يَقْتَرِبُ مِنْهُ، الْعَقْرَبُ صَغِيرٌ وَغَيْرُ مُذَلَّلٍ، وَالْجَمَلُ كَبِيرٌ لَكِنَّهُ مُذَلَّلٌ، وَالْبَقَرَةُ مُذَلَّلَةٌ، تَحَرَّتْ وَتَسْقِي مَعَ أَنَّهَا أَكْبَرُ مِنَ الْإِنْسَانِ بِالْحَجْمِ، وَلَمَّا جِئَ الْبَقَرُ قَبْلَ عِشْرِينَ سَنَةً، صَارَ جَنُونَ الْبَقَرِ مِنْ جَنُونَ الْبَقَرِ، عِنْدَمَا أَطْعَمُوهَا جِئْتَ الْبَقَرِ، فَصَارُوا مِنْ بَعِيدٍ يُطْلَقُونَ عَلَيْهَا الرِّصَاصُ لِأَنَّهَا لَمْ تُعَدَّ مُذَلَّلَةً، فَالْهُ تَعَالَى يَمْتَنُّ عَلَى عِبَادِهِ بِتَذَلِيلِ الْمَخْلُوقَاتِ لَهُمْ.

قال: (لَا ذَلُولَ) غير مُذَلَّلَةٍ لِلْحَرَاةِ، أَيِ غَيْرِ مُعَلِّمَةٍ (لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ) بِالْجَرَاةِ، (وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ) أَيِضاً غَيْرُ مُذَلَّلَةٍ لِلْسَقَايَةِ، أَيِ مُذَلَّلَةٍ جَدًّا، (لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ)، (مُسَلَّمَةٌ) خَالِيَةٌ مِنَ الْعُيُوبِ لَيْسَ فِيهَا عَيْبٌ، (لَا شِيَةَ فِيهَا) لَا يُخَالِطُهَا لَوْ غَيْرُ لَوْنِهَا، أحياناً ترى بَقَرَةً جَمِيلَةً سُبْحَانَ الْخَالِقِ، بِيضَاءُ وَسُودَاءُ فِيهَا بَعْضُ السُّودَادِ، هَذِهِ (لَا شِيَةَ فِيهَا) أَيِ لَوْنِهَا أَصْفَرُ.

رواية بنو إسرائيل في ذبح البقرة:

بحنوا لذبح البقرة فتقول رواياتهم - وأُعيد القول: أنه ما دامت الرواية لا تُخالف قطعاً فيمكن أن يُستأنس بها - فتقول رواياتهم أنهم وجدوا البقرة عند شخص مات ولم يتزك لانيته شيئاً إلا هذه البقرة واستودعه عند الله، وكان الرجل صالحاً والابن ليس له شيء، فطلبوها من هذا الابن فطلب وزنها ذهباً، فجمعوا الذهب وأخذوا البقرة، عندنا مَثَلٌ بالعَامِيَّةِ يقول: "يُصِيدُ عَشْرَةَ عَصَافِيرٍ بِحَجَرٍ وَاحِدٍ" وَلِلَّهِ الْقَتْلُ الْأَعْلَى، رَبَّنَا عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَمَا يُرِيدُ شَيْئاً جَلَّ جَلَالُهُ تَتَحَقَّقُ فِيهِ مَنَاتُ الْأُمُورِ شَيْئاً وَاحِداً.

لَمَّا صَارَ حَدِيثُ الْإِفْكِ عَلَى السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَبَرٌ لِّكُم لِكُلِّ أَفْرِئٍ مِّنْهُمْ مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (11)

(سورة النور)

لو بحثت في الخبرات، من كشف المُنافقين، من بيان فضل عائشة رضي الله عنها، من بيان أنَّ الوحي من الله تعالى، لأنه طال الأمد ولم ينزل الوحي، والنبى صلى الله عليه وسلم ينظر ويسمع ما يُقال في المدينة، وهو يصبر صلى الله عليه وسلم، فلو كان الوحي من عنده لقال آيات تُبرئها من لحظة أن اتَّهمت بالزنا والعباد بالله، إلى غير ذلك، كشف المُنافقين قال: (لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَبَرٌ) وهنا البقرة سُدِّحَ والله مُنِّمُ أمره لا بُدَّ، لكن هناك فوائد أخرى، منها أنَّ هذا الطفل لا مال له فأراد الله أن يُغنيه من فضله، فذهبوا فلم يجدوها إلا عند هذا الشاب، فدفعوا وزنها ذهباً، أو ما يملأ جلدُها ذهباً حتى أعطاهم إياها لينقذوا الأمر، لأنَّ الأمر اشتدَّ ويريدون أن يعرفوا القاتل، ويُريدون أن ينقذوا الأمر.

قال: (فَدَبَّحُوهَا) ثم بيَّن جلاله خوالج نفوسهم، قال: (وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ) أي ما زال الترددُ عندهم، لم يفعلوها خُبّاً وكرامةً، المؤمن يُقيل على فعل الأمر لله تعالى من باب:

{ يَا بَلَاءُ ! أَقِمِ الصَّلَاةَ، أَرِحْنَا بِهَا }

(أخرجه أبو داود)

الصلاة أرحنا بها، الصيام أرحنا به، غَضَّ البصر أرحنا به لا أرحنا منه، ليست القضية أن أتخلص من أمرٍ أو أن أتخلص من نهْي، القضية أنني أريد أن أنقذ، أريد أن أتعبَّد الله بتنفيذ الأمر.

قال: (وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ) يصف حرجهم من تنفيذ الأمر.

الآن قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا قَادَرْتُمْ فِيهَا ۖ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (72)

(سورة البقرة)

مع الله تعالى لا تُقَلِّ لماذا بل عليك تنفيذ الأمر فوراً:

لماذا لم يُقَلِّ لنا الله تعالى من البداية: وإذ قتلتم نفساً فقلنا ادبحوا بقرة؟ الله تعالى الآن يُدَرِّسنا نحن من خلال سورة البقرة على الإيمان بالغيب، أنت الآن تقرأ السورة لأول مرة: (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرِكُمْ أَن تَدْبَحُوا بَقَرَةً) لماذا؟ لأنه أمرٌ من الله فقط انتهى، لا تحتاج إلى لماذا مع أمر الله تعالى، أنت لا تحتاج أن تقول: لِمَ إذاً أمر الله، تقول: لِمَ إذاً أمرتُك أنا، إذا أمرتُك صديقك، من المُساوي تسأل لماذا؟ صديقك قال لك: لا تفعل كذا، قُلْ له لماذا؟ لكن والدك لا تُقَلِّ له لماذا؟ أمك لا تُقَلِّ لها لماذا؟ طبعاً لماذا من باب الاعتراض، أمّا من باب الفهم قد يسأل الإنسان، لكن مع الله تعالى لا تُقَلِّ لِمَ، ما دام الأمر قد ثبتت عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم، فليس لنا أن نتقدّم أو نتأخّر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۚ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ صُلًىً مُّبِينًا (36)

(سورة الأحزاب)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَلَّا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَزًّا مِّمَّا قُصِّيتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (65)

(سورة النساء)

ثلاثة أمور مع بعضها: (يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ)، (ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَزًّا مِّمَّا قُصِّيتَ) صيق، بمعنى أن تقول: سأنفذ الأمر لكن يا ليتني لم يكن كذلك، (ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَزًّا مِّمَّا قُصِّيتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا).

في سورة البقرة الله عز وجل يُعَلِّمُنَا الْإِيمَانَ بِالْغَيْبِ:

فلذلك ربنا جلَّ جلاله يُؤدِّبُنَا هُنا، حتى نحن عندما نقرأ السورة يُعَلِّمُنَا الله تعالى الإيمان بالغيب، (وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبُحُوا بَقَرَةً) يبدأ القصة من هُنا، الآن تعود القصة لثبوت لماذا ذبحوا البقرة، وهذا فيه تشويق أيضاً في عرض القصة.

فقال: (وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا) فَادَّارَأْتُمْ أي تدافعتم، كل منكم يدفع التهمة عن نفسه ويلصقها بالآخر، ومنه الدريئة التي يمسكها المُقاتل في المعركة ليدراً عن نفسه أي ليدفع عن نفسه السهام.

قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُوا مَا قُتِلُوا ۖ قُلْ قَادَرْتُمْ عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (168)

(سورة آل عمران)

ادفعوا الموت عن أنفسكم.

قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِعَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (22)

(سورة الرعد)

إذا وقعت في سيئة وأردت أن تدفعها عن نفسك تدفعها بماذا؟ بالحسنة، فالحسنة تدفع السيئة.

{ اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُ مَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ }

(أخرجه الترمذي وأحمد)

هذا هو (فَادَّارَأْتُمْ) أي جعل كل منكم يدرأ التهمة عن نفسه، يدفعها ويلصقها بالآخر (فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا) قال: (وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ) إذاً بعض من كانوا يدارؤون عن أنفسهم، هم القتلة أنفسهم ويعلمون القاتل (وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ) هناك من يكتم، يعلم من هو القاتل ولكنه يكتمه، قال: (وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ) من كتم أمر القاتل.

معنى (فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِعَصِيهَا):

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بَعْضِهَا كَذَلِكَ يُخَيِّبُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (73)

(سورة البقرة)

أي اضربوا جثة المقتول ببعض البقرة (فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بَعْضِهَا) خذو الكيف أو شيئاً آخر واضربوه ببعضها، فإذا ضربتموه: (كَذَلِكَ يُخَيِّبُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ) يقوم الميِّت ويقول لكم: قتلني فلان، هذه أعظم شهادة للتاريخ، أن يشهد المقتول على قاتله، وفي الحديث الصحيح:

{ يحيى المقتول متعلّقاً بقاتله يوم القيامة، أخذاً رأسه بيده الأخرى فيقول: يا ربّ، سل هذا فيم قتلني؟ قال: فيقول: قتلته لتكون العزة لك، فيقول: إنّها لي، قال: ويحيى آخر متعلّقاً بقاتله فيقول: ربّ، سل هذا فيم قتلني؟ قال: فيقول قتلته لتكون العزة لفلان، قال: فإنّها ليست له فيبوء بإثمه، قال: فتَهْوِي في النَّارِ سبعين خريفاً {
(أخرجه النسائي والطبراني وأبو نعيم)

الضابط قال لي: اقلته، قتلته لأنني أريد أن يبقى فلان رئيساً، قتلته لأنني أريد أن أحافظ على مكانة فلان، حتى ما أحد ينال من هيئته، (قتلته لتكون العزة لفلان) فيقول المولى جلّ جلاله: (فإنّها ليست له) سوء تصوّر، القتل سوء تصوّر كما تحدّثنا اليوم في الخطبة، تصوّر أنّ العزّ لفلان فقتل من أجله.
الآن إذا تسمعون بعض اعترافات المُجرمين، أخذوا كيد من شخص في مشفى تشربن العسكري، انتزعوا كيدوه وهو بصحة جيدة، ما عنده إشكال، لعزّ ضابط في جيشهم البائد القاتل، يحتاج إلى زراعة كيد فأخذوا كيد هذا الشخص، قال له: بعد كم من الوقت مات؟ قال له: بعد دقائق مُباشرة، لأنّ الإنسان لا يعيش بدون كيد، قال له: هل كان من الممكن أن يعيش؟ قال: نعم لكن ما عندنا تقنيات، ليس له قيمة، مات فأخذوا كيدوه وزرعوه للضابط الفلاني، بكل بساطة: (قتلته لتكون العزة لفلان) يقول الربّ جلّ جلاله: (فإنّها ليست له) أخطأ بالتصوّر، فيغضب الله عليه ولعنه وله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُولِهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (115)

(سورة النساء)

والعياذ بالله.

العقل هو الربط:

(فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بَعْضِهَا ۖ كَذَلِكَ يُخَيِّبُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ) آية من آيات الله العظيمة، (لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) لعلكم تربطون بين هذا المشهد وإحياء الموتى يوم القيامة والبعث، إذا كان الله عزّ وجل أراد أن يحيي الميِّت في الدنيا ضربوه فقام، أي رأيتم الآية بعينكم، فالله سيبعثكم يوم القيامة، فقط اعقل، العقل هو الربط، أنت ترى الأرض هامدة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُخَيِّبٌ ۖ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (39)

(صورة فصلت)

فقط ربط، ما هو العقل؟ العقل هو الربط، قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
كَمَلِ السَّبَّحَاتِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (16)

(سورة يوسف)

قالوا له شبهة بالإعلام: أنَّ الإسلام ظلم المرأة الذي أعطى المرأة حقوقها، قالوا له بالإعلام: الإسلام دين الإرهاب، معاذ الله، الإسلام دين الجهاد الذي يُعلي كلمة الله ويُحقِّق الخير في الأرض، (أَتَكْذَرُهَا تَكْتَفُ فِيهِ تَكْنَةُ بِيضَاءٍ) يبدأ القلب من تكتة بيضاء (حَتَّى يَصِيرَ الْقَلْبُ أَبْيَضَ مِثْلَ الصَّفَا) مثل حجارة الصفا البيضاء (لَا تَصْنُرُهُ فِتْنَةً) صار قلباً أبيضاً (وَالْآخِرُ أَسْوَدٌ مُرَبَّدًا) شديد السواد (كَالْكُوزِ مُجَحَّثًا) إذا كان الكأس مقلوباً وأردت أن تملأه ماءً فهل يمتلئ؟ (وَالْآخِرُ أَسْوَدٌ مُرَبَّدًا كَالْكُوزِ مُجَحَّثًا، لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يَنْكُرُ مُنْكَرًا) انتهى والعياذ بالله.

فقال: (ثُمَّ قَسَتْ فَلُونُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ) قسا القلب، قال: (فَهِيَ كَالْجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً) هنا "أو" بمعنى "بل" حرف إصراف، أي هي كالحجارة بل هي أشدُّ قسوة من الحجارة، لماذا؟ قال: (وَإِنَّ مِنَ الْجَارَةِ لِمَا يَتَّقِجُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ) بالنتيجة يتحرك الحجر ويتفجر منه الأنهار (وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَنْسَقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ) أحياناً ترى صخرة وتري قد خرج منها عودٌ أخضر، أي من آيات الله، كل هذه القسوة وخرج العود الأخضر (وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَنْسَقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ) وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَهِيْطُ مِنْ حَسَنَةِ اللَّهِ قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ حَسَنَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لَتَصْرِفُهَا النَّاسُ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (21)

(سورة الحشر)

تشبيه القلوب بالحجارة ليُصِحَّ المعنى المعقول بالمعنى المحسوس:

فهنا ربُّنا جلَّ جلاله يُشَبِّه الأشياء المعقولة بالمحسوسة حتى يَصِحَّ المعنى (ثُمَّ قَسَتْ فَلُونُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ) أي من بعد رؤية الآيات، من بعد أن أحيا الله الميت أمامكم، من بعد أن دبحتم البقرة، من بعد أن رأيتم الآيات الباهرات على وجود الله ووحدانيته وكمالته، ثم قَسَتْ فَلُونُكُمْ من بعد ذلك (فَهِيَ كَالْجَارَةِ) تشبيه بالحجارة ليُصِحَّ المعنى المعقول بالمعنى المحسوس، قلبٌ قاسي، كيف قاسي؟ كيف أنَّ الحجر قاسي فالقلب مثله (فَهِيَ كَالْجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً) أي بل أشدُّ قسوة، لأنَّ الحجارة منها: (وَإِنَّ مِنَ الْجَارَةِ لَمَّا يَتَّقِجُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ) ومنها (وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَنْسَقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ) ومنها وهذا أمرٌ غيبي (وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَهِيْطُ مِنْ حَسَنَةِ اللَّهِ)، (وَمَا اللَّهُ بِعَاقِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) الله لا يعقل جلَّ جلاله، حاشاه جلَّ جلاله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ عَاقِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (42)

(سورة إبراهيم)

لكن الله عَزَّ وَجَلَّ قد يبدو لضعيفي الإيمان أنه قد عَقِلَ لكن حاشاه جلَّ جلاله أَنْ يَغْفَلَ (إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ). هذا والله تعالى أعلم، والحمد لله ربَّ العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدعاء:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله ربَّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين.

اللهم علِّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علِّمنا وزدنا علماً.

اللهم اجعل جمعنا هذا جمعاً مباركاً مرحوماً، واجعل تفرقنا من بعده معصوماً، ولا تجعل فينا ولا ممّا ولا معنا شقيّاً ولا محروماً.

اللهم اغننا بالعلم، وزينا بالحلم، وأكرمنا بالتقوى، وجعلنا بالعافية، واجعل أسعد أيامنا يوم نلقاك وأنت راضٍ عنا، أنت حسبنا عليك اتكالنا، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمدٍ وعلى آله وأصحابه أجمعين، والحمد لله ربَّ العالمين.